مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-013-002-016

المدرسة الاستشراقية الفرنسية وآراؤها حول التصوف في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية- شارل بروسلار نموذجا

The French Orientalist school and its views on Sufism in Algeri during the colonial period- Charles Brosslard as a model

اسم ولقب المؤلف المرسل: دباب بومدين-Debab Boumediene صص278- 299
الدرجة والعنوان المهني: استاذ محاضر "أ"- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة سيدي بلعباس- الجزائر/البريد الإلكتروني: Boumedienedebab1973@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 02-06-2023 تاريخ المراجعة: 10-07-2023 تاريخ القبول: 07-11-2023

الملخص: من المؤكد أن النظرة إلى التصوف في الجزائر إبّان الفترة الاستعمارية (1830-1962) قد اختلفت بين المستشرقين الفرنسيين لكن في ضوء خدمة المصلحة العامة لفرنسا، حيث دار الجدال بين دارسي الطرق الصوفية من حيث خطورتها وكيفية التعامل معها والموقف منها مستقبلا، وكانت أولى المحاولات في ذلك هي دراسة "دي نوفو" سنة 1845م التي لخّص فيها أهميتها في الثورات التي كادت أن تقضي على أحلام الفرنسيين في الاحتلال السريع للجزائر.

ثم جاءت دراسة شارل بروسلار الذي كتب عن المؤسسات الدينية خاصة في تلمسان، واتصل بأهلها من الحضر وعرف الحياة المدنية الإسلامية والتراث الديني الذي كانت تتمتع به، وإتقانه للغة العربية ساعده للاطلاع على الثروة الهامة من المخطوطات العامة في الزوايا والمساجد وفتحه للنقاش حول التصوف ووصل به الحد الى غاية الرحيل الى الجنوب حتى وصل تومبوكتو تحت حماية الطرق الصوفية.

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تتبع مواقف بروسلار في هذا المجال؛و تبيين رؤيته الاستشراقية اتجاه الطرق الصوفية وما نتج عنها من بناء معرفة استعمارية في هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق الفرنسي- الجزائر- شارل بروسلار.- الفترة الاستعمارية.

Abstract: It is certain that the view of Sufism in Algeria during the colonial period (1830-1862) differed among the French orientalists, but in the light of serving the public interest of France. That is the study

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

"De Novoux" in the year 1845 AD, in which he summarized its importance in the revolutions that almost destroyed the dreams of the French in the rapid occupation of Algeria.

Then came the study of Charles Brosslard, who wrote about religious institutions, specialy in Tlemcen, and contacted its people from Hatra and knew the Islamic civil life and the religious heritage that it enjoyed, and his mastery of the Arabic language helped him to see the important wealth of public manuscripts in the corners and mosques and opened him to discussion about Sufism and reached the limit Until he left to the south until he reached Timbuktu under the protection of the Sufi orders.

Through this research paper, we will try to track Proslar's positions in this field, and to show his orientalist vision towards the Sufi orders and the resulting colonial knowledge building on this subject.

Key words: French Orientalism - Algeria - Charles Brosselard - the colonial period.

مقدمة: لقد نال التراث الجزائري اهتماما بالغا من مستشرقي المدرسة الفرنسية خاصة بعد احتلال الجزائر سنة 1830م، حيث تنافس أولئك المستشرقون على ذلك التراث يترجمون منه ويكتبون عنه، فشملت كتاباتهم مجالات عدّة لها علاقة مباشرة بالمجتمع الجزائري آنذاك كالدين وعلومه والتصوف وطرقه.

ومن بين الكتابات الكولونيالية التي أولت عناية كبيرة لظاهرة التصوف تلك التي أنجزها " Charles Henri Emmanuel brosselard شارل هنري ايمانويل بروسلار" الذي حاول فهم واقع الصوفية والتصوف بالجزائر معتمدا على أطروحات سابقيه ذات الوجهات النظر المتعددة.

ونظرا لأهمية الموضوع حاولنا إثارة إشكالية تتعلق بطبيعة الكتابة الاستشراقية عند "بروسلار" حول التصوف الجزائري؟ والتعرف على وجهة نظره المختلفة والمتفقة مع سابقيه ومن عاصروه حول مقومات الفكر الصوفي الجزائري؟

1- استعراض لنماذج من الكتابات الاستشراقية حول التصوف: إن الرغبة في تحقيق الهدف السياسي والاستعماري لفرنسا في الجزائر دفع بمستشرقيها الى الاهتمام بها في كتاباتهم الاستشراقية قبل سنة 1830م ويتجلّى ذلك من خلال ما خلّفه الطبيب وعالم النبات الفرنسي "رينيه لويش ديفونتين René louiche Desfontaines"[1] خاصة في كتابه" fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger fait de 1783 a 1786" وكذلك الطبيب

1- ولد في14 فبراير 1750م في مقاطعة بريتاني غرب فرنسا وتوفي في 16 نوفمبر 1833 بباريس، كان عضوا في أكاديمية العلوم والطب.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وعالم الطبيعة " جون أندري بايصونال Jean-André Peyssonnel " [1] خاصة في كتابه" Voyage dans les régences de Tunis et d'Alger" و"جون ميشال دوفانتور دوبارادي Jean-[2] Michel de Venture de Paradis خاصة في كتابه " Tunis et Alger au XVIIIe siècle "أو حتى من الانجليز الذين كانوا يتنافسون مع الفرنسيين في التوسع الاستعماري، هذا إضافة إلى ماكتبه الألمان أثناء زيارتهم للجزائر سعيا لاكتشاف طبيعتها الجغرافية والاطلاع على موروثها الحضاري، وتوسع هذا الاهتمام الغربي بالجزائر حتى الأمريكيين وهذا ما نلمسه في مؤلفات القنصل "وليام شالر"[3].

وكان أول خطاب إستشراقي تم توزيعه على الأهالي عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، يحمل بين سطوره معرفة جيدة بالمكونات السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة في إيالة الجزائر العثمانية، وباللفظ الصوفي والروح الصوفي المنضبط، فهذه الوثيقة لديها كل أسباب الاستشراق، وهي محررة من طرف المستشرق "دي ساسي"[4] ؛ الذي كانت له دراية باللغة العربية وأهاليها وكانت تنضوي على مجموعة من الحقائق الزائفة:

- زعمهم انهم قادمون لتحرير الجزائريين من "الاستعمار التركي"، لهذا يجب على الجزائريين مساعدهم لتحرير أنفسهم .

- وعدوا باحترام الدين الإسلامي وتشريعاته، واحترام الرسول صلى الله عليه والتقاليد والممتلكات وأن الجزائريين سيبقون أسيادا في بلادهم.

-أن الخطاب كان موجها للمشايخ والأنساب والقضاة والأئمة وأصحاب النفوذ والاحترام لاستدراجهم وتغريرهم.

كسوريا ومصر والمغرب وتونس والجزائر.

1- ولد في 19 جوان 1694م بمرسيليا وتوفي في 24 ديسمبر 1759م في سانت برتراند، كان عضوا في أكاديمية العلوم والآداب والفنون بمرسيليا وعضوا في المؤسسة الملكية بلندن لتحسين المعارف الطبيعية.

2- ولد في 08 ماي 1739م بمرسيليا وتوفي في 16 ماي 1799م، تقلد عدة مناصب ونظرا لإتقانه اللغة العربية عين مترجما في عدة دول إسلامية كسوريا ومصر والمغرب وتونس والجزائر.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج6، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 9.

4- يعتبر شيخ المستشرقين الفرنسيين (1758- 1838م)، واسمه الكامل " انطوان اسحاق سلفستر دي ساسي"، للاستزادة ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، صص 334- 339.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ويرى أبو القاسم سعد الله إن النسخة العربية للبيان تفتقد إلى الفقرة الواردة في نسختين مترجمتين عن جريدة "لومونيتور" الفرنسية الصادرة يوم 02 جوان 1830 والمتمثلة في:"...أنّ الفرنسيين سيعاملونكم كما تعاملوا مع إخوانكم المصريين الذين يفكرون فينا دائما ويأسفون على مغادرتنا لهم منذ ثلاثين عاما، ومازالوا يبعثون أبناءهم الى فرنسا ليتعلموا القراءة والكتابة وغيرهما من المهن المفيدة..."[1].

أماّ عن التطورات التي مر بها الاستشراق الفرنسي في الجزائر، فقد أرجعها ابو القاسم سعد الله إلى ثلاثة مراحل على حد تعبيره فيقول:"... وهي ثلاثة على الأقل، المرحلة الأولى من الاحتلال إلى إنشاء المدارس العليا سنة1879م، والثانية من هذا التاريخ إلى الاحتفال المئوي بالاحتلال سنة 1930م ، والمرحلة الثالثة منذ هذا التاريخ إلى الاستقلال سنة 1962م..."[2].

وفي كل مرحلة كان لهذه المدرسة نشاط معين تقوم به وتتوسع من خلاله، ففي المرحلة الأول تميزت بقوة جهاز الترجمة فيها لحاجتها الماسة لذلك كونها احتلت منطقة لا تعرف ثقافتها وأطرها فكانت تترجم كل ما تجده أمامها من وثائق خاصة وكل ما تعلق بالعادات والتقاليد والقضاء وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله: "...وقد تميزت المرحلة الأولى بجهاز ترجمة قوي على يد العسكريين في معظم الأحيان، وهناك مترجمون إداريون وآخرون قضائيون أيضا وقد نتج عن أعمال هؤلاء وأولئك أكداس من النصوص والعرائض والوثائق، واشتغل المترجمون المستشرقون في اللجان العلمية والجمعيات المتخصصة. ونشروا أبحاثهم في شكلها العام والبسيط للتعريف بالشعب المحتل مختلف عصوره ومظاهره..."[3].

ومما ميزها إنشاء كراسي لتعليم اللغة العربية في المقاطعات الثلاث الجزائر ووهران وقسنطينة، وكانت هذه الكراسي يشرف عليها أساتذة تخرجوا من المدرسة الاستشراقية الفرنسية برتب ضباط عسكريين، ومن هنا يمكن القول أن أولى الجهود الاستشراقية في الجزائر قد كانت على يد العسكريين من المترجمين نذكر منهم: آرنو Arnaud، باقارBagard ، بروسلارBrosselard ، باروخ Baruch، فيرو Féraud، دمون Dumont كلارك Clerc، مارتان

1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج01، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 275.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر .....، ص 12.

3- نفسه، ص 13.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

Martin، إسماعيل هامي Ismail hamet، وقد استحدثت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في هذه المرحلة أيضا مؤسسات عديدة لخدمة مشاريعها الاستيطانية يأتي في مقدمتها المكاتب العربية (Les bureaux arabes) والتي كلِّفت مهمة تسييرها إلى ضباط يُتقنون اللغة العربية لكي تكون حلقة وصل بينها وبين السكان الأصليين وعلى الرغم من أن هذه المكاتب تضطلع بمهام سياسية، إلا انهاكانت بشكل ملحوظ أفضل مزود المعلومات[1]، فقد كانت بمثابة نوافذ استشراقية تتعرف من خلالها فرنسا على التركيب القبَلِي للمجتمع الجزائري ،عاداته، لهجاته، طرق معيشته ، وتراثه المادي واللامادي مما مكنها من الاستيلاء على الكثير من المؤلفات والمخطوطات النادرة ، مستخدمة في ذلك المستشرقين الذين حملوا تسميات عديدة منها: الرّحالة، المستكشفين، المؤرخين، الأثريين والمرافقين العسكريين ،المترجمين.

أما المرحلة الثانية فقد وقعت فيها مراجعة شاملة لتجربة التعليم العالي، ومنه التأثير في عملية الاستشراق في الجزائر فقد أنشأت كراسي للغة العامية في باريس وآخر للغة البربرية كما ظهرت في الجزائر مدرسة الآداب والتي تحولت فيما بعد إلى كلية الآداب وتمّ كذلك انعقاد المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في شهر أفريل 1905م تحت إشراف "رينيه باصيه" عميد كلية الآداب وعميد المدرسة الاستشراقية في الجزائر.

ظهر خلال هذه الفترة الاهتمام بما يسمى "الإسلام الجزائري "، وهو في نظر المستشرقين الفرنسيين قائم على الشعوذة والسحر والدجل والزردات والوعدات، فظهرت كتابات الفريد بل "الفرق الإسلامية" ولويس رين بكتابه "مرابطون واخوان" سنة1884م، ودراسة "أوكتاف دوبان" "وكزافي كوبولاني" حول الدين الإسلامي[2] بطريقة غير معمقة، وكانت بعنوان "Confréries religieuses musulmanes"، وقد صدرت سنة 1897م[3]، وفي المذاهب نشر زيس zeys مجلدين عن الفقه الاباضي ونشر موتيلانسكي مدونة ابن غانم في الفقه الاباضيكما شهدت هذه اهتماما كبيرا بدراسة اللهجات العربية والبربرية فانجز "باسيه" بحثا عن

1- عبد الحميد زوزو، وثائق نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984، ص.177.

2- هذه الدراسة كانت تحت اشراف الحاكم العام للجزائر جول كامبو الذي تولى الحكم من 1891/04/18 الى 1897/10/01.

3- عبد الحميد برقية، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962 دراسة تاريخية فكرية، اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، جامعة قالمة، 2021-2022، ص 97.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الدراسات البربرية ونشر موتيلانسكي عن لهجة مزاب وغدامس،والف "ماسكراي" معجما فرنسيا تارقيا،ودراساتعن لهجة كل من ميزاب والشاوية وزواوة، وقد استفاد باسيه ومسكراي في دراستهما للهجات البربرية من خبرة علماء جزائريين أمثال :بلقاسم بن سديرة، الهاشمي بن الونيس ، عمرسعيد،بوليفة، وابن أبي شنب الذين قاموا بتأليف معاجم عربية دارجة فرنسية عن لهجات قبائلهم، ونظرا لأهمية اللهجات البربرية بالنسبة للمستشرقين والإدارة الاستعمارية الفرنسية على حد سواء قد أنشئ كرسي لها في مدرسة الآداب بالجزائر.

أما المرحلة الثالثة فقد تميزت بالتوسع في إنشاء المعاهد المتخصصة كمعهد الدراسات الشرقية، ومعهد الدراسات الصحراوية ثم معهد الدراسات العربية .كما عرف تحويل المدارس الثلاثة في المدن الرئيسية إلى معاهد، كما شهدت هذه المرحلة أيضا الاحتفال بمئوية تأسيس الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1956م، ومجلتها "المجلة الافريقية"، وقد تمخضت عنها دراسات وأبحاث هامة عن تقدم الكتابة التاريخية خلال سنوات 1930-1956م منها دراسة "ياكونو" التي تناول فيها تقييم ما كتب منذ الاحتلال، وكذلك دراسة "روجي لوتورنو" عن العصور الوسطى والحديثة، وهما بحثان غنيان بالآراء والملاحظات والمراجع، وفي نفس الوقت يبرهنان على مدى ما وصلت اليه الكتابة التاريخية الفرنسية في الجزائر[1].

وبالرجوع إلى المحور الديني يستوقفنا حجم الاهتمام الذي أولاه المستشرقون الفرنسيون على مختلف مشاربهم للتعرف على تفاصيل الجوانب الدينية للجزائر كالإسلام الطرقي والزوايا الصوفية، وما يرتبط بهما كالصلحاء والمشَيخة والمريدين، ويستوقفنا أيضا العدد الكبير للدراسات المتعمقة للمعتقدات الدينية ورصد الطقوس الصوفية، التي ما فتئت تلهم أولئك الباحثين على اختلاف توجهاتهم مبشرين كانوا أو بعثات عسكرية، أو جامعيين من أمثال: لويس رين Louis Rinn، كورناي ترومليCorneille Trumelet إدموند دوتيه Edmond Doutté، ألفريد بيل Alfred Bel، جاك بيرك Jacques Berque، إ. درمانجوم Emile Dermenghem، أو فاني كولونا Fanny Colonna فألفوا في ذلك تآليف غزيرة تعددت من ورائها أهدافهم وغاياتهم[2].

1- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ...، ج01، ص 26.

2- سالم بوتدارة، الفكر الصوفي الجزائري من منظور الكتابات الاستشراقية الفرنسية، مجله الواحات للبحوث والدراسات،

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ونتيجة للانتشار الواسع للطرق الصوفية وتأثيرها في المجتمع، سواء في المجال السياسي أو الديني دفع السلطات الفرنسية إلى التتبع والبحث والتحري عن هذه الجماعات، وإرسال تقارير عسكرية من أجل التعرف على عمقها، لاستمالتها أو في غالب الأحيان محاربتها، فمن عوامل استقرار البلاد على حد تعبير لويس رين: "...وجَب تهدئة الأوضاع بإخماد الثورات من خلال دراستها وإظهار الخطر المرتقب منها والبحث عن محرضيها..."[1].

وبإلقاء نظرة لما كتبه الفرنسيون عن التصوف الجزائري، سنقف على وجهات نظر تتفق حينا وتتباين أحيانا أخرى، ولربما يرجع سبب ذلك التباين إلى زوايا الدراسة المختلفة التي تناول بها أولئك الدارسون التصوف الجزائري، ومن أهم تلك الدراسات ما يلي:

إدموند دوتيه 1867 - 1926 Edmond Doutté : من خلال مؤلفه "سحر ودين شمال افريقيا Magie et religion dans l'Afrique du Nord"[2]، نفهم أن دوتيه يرى مظاهر التصوف هي وليدة الظواهر الدينية، التي تتميز عن غيرها من الظواهر الأخرى، بقوتها الإلزامية، حيث تفرض المعتقدات والممارسات نفسها على المؤمنين والمريدين معا، وتجازى هذه الواجبات من قبل القوى الدينية، عن طريق الرأي العام (الأخلاق) والدولة، وفي بعض الأحيان قد يظل المعتقد إجباريا والممارسة محرمة (الشعوذة)، لكن في المجتمعات البدائية فانّ الفرد لا يتميز سوى قليلا عن المجموعة، بحيث لا يتمكن من التفكير والفعل، بخلاف أمثاله وينجم عن ذلك، أن تتسم كافة الظواهر الاجتماعية بالطابع الإلزامي ذاته هكذا عند سكان شمال أفريقيا فقد ارتبطت القبائل كلها ببعض القديسين المسلمين (المرابطين والأولياء) ،حيث تخلت عن أسمائها مقابل اسمه، فتحولت بذلك إلى أولاد سيدي فلان[3].

ومن جهة أخرى فقد اكتسحت الحركة المرابطية تقريبا كامل الحياة الزراعية حيث ترتبط الأسواق بشكل وثيق بالمواسم، بينما يسهر على إدارة شؤون المدارس رجال الدين الأولياء، فكل حياة القرية معلقة بحركات وأقوال المرابط: فقد دخلت الجمعيات الإخوانية في

المجلد14، العدد 03،2021 ، ص 369.

1- RINN Louis, Marabout et Khouane, Etudes sur l'islam en Algérie, Jordan, Alger. 1884,p :06 .

2- هذا الكتاب كان تكريما واعترافا من ادموند دوتي لـ" رينيه باسيه" مدير المدرسة العليا للآداب.

3- Edmond DOUTTE, Magie et religion dans l'Afrique du Nord,typographie adolphe jourdan,alger,1909,p :217

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الأخير، الدواوير الأكثر نائية وضمنت للإسلام بالكامل قوة وتماسكا في حين لم تتمكن المؤسسات السياسية، من توفيره له.

ألفريد بيل (Alfred Bel 1945 -1873): من خلال مؤلفه " الديانة الإسلامية في شمال افريقيا *La* religion musulmane en Berbérie" وكتاب " Établissement et développement de l'Islam en Berbérie du VII^e^ au XX^e^ siècle" حيث انطلق من اشكالية محورية لم تكتمل إجابتها عنده تماما ، وتتعلق تلك الإشكالية بكرونولوجيا الأصل، لما سماه بظاهرة التصوف الديني، هل هي ذات اصول محلية أم هي ذات امتداد لأصول مشرقية؟ هل هي بقايا قديمة أم أفكار إسلامية؟ كما تفحص التغيرات التي لحقت شمال إفريقيا بسبب الإسلام، من خلال محطات وتأثيرات فرعية داخلية وخارجية، بحيث أن الشرق الإسلامي مصدرا للتخصصات اليهودية الدينية، التي دخلت إلى المغارب، وتم تأويله وتوضيحه من خلال علماء الدين وأساتذة القانون في هذه البلاد، ودرّسوه في إفريقيا الشمالية[1].

لويس رين(Louis Rinn 1905-1838): من خلال مؤلفه "المرابطون والإخوان دراسة حول الإسلام في الجزائر(Marabouts et khouan étude sur l'islam en Algérie) حيث أراد من خلال كتاباته أن يثبت الدور المهم والتأثير الكبير الذي تقوم به الطرق الصوفية ورجال الدين على الأهالي، ولقد كان من بين الكتّاب الذين يريدون إعانة السلطة الإستعمارية بإطلاعها على خبايا الزوايا والطرق الصوفية[2]، ورغم أهمية الكتاب إلا أنه يحتوي في ثناياه الكثير من السلبيات والتصورات المغلوطة والأحكام المسبقة والنظرة الاستعلائية الفرنسية للإسلام في الجزائر.

كما ساهمت المجلة الإفريقية التي تعتبر لسان حال الجمعية التاريخية الجزائرية ويد فرنسا العلمية في الجزائر، من تناول نشاط الطرق الصوفية ورجال التصوف بنسبة كبيرة وممنهجة مقدمة أكبر كمّ من المعلومات حولها لتجنب ثوراتها مستقبلا ضد الوجود الاستعماري، ومن أهمّ هذه الدراسات ما يلي:

1- Alfred Bel La religion musulmane en Berbérie. Esquisse d'histoire et de sociologie religieuses, tome1, Geuthner, paris, 1938, p :215.

2- RINN Louis, p :37

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المؤلف	عنوان الدراسة	سنة النشر	المجلد
Berbrugger	Un chérif kabyle en 1804	1857	3
Arnaud	Histoire de l'ouali Ahmed el tidjani	1861	5
Devoulx	Notes historiques sur les mosquées et autre édifices religieux d'Alger	1861	5
Bresnier	Formule d'abjuration selon la loi musulmane	1863	7
Féraud	Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine	1868	12
Devoulx	Lettres adressées par les marabouts arabes au pacha d'Alger	1874	18
Delpech	Résume historique sur le soulèvement des derkaoua dans la province d'Oran. La zaouïa de sidi Ali ben moussa ou Ali n'founas	1874	18
Arnaud	Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Mohammed Abou ras ben Abdelkader en nasiri	1878	22
Rinn	Essais d'études linguistiques et ethnologiques sur les origines berbères	1882	26
Arnaud	Etudes sur le soufisme	1887	31
Rinn	Deux chansons kabyles sur l'insurrection de 1871	1887	31
Arnaud	Etudes sur le soufisme par le cheikh el Hadi ben ridouane	1888	32
Luciani	A propos de la traduction de la senoussia	1898	42
Robin	L'insurrection de la Kabylie en 1856 et 1857	1898	42
Doutte	Les minarets et l'appel de la prière	1899	43

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

51	1907	Les marabouts guérisseurs	Aboubekr [1] Abdeslam ben choaib
51	1907	Etudes sur les chadouliyas	Joly
53	1909	Notes sur le Mausolée de Sidi Okba	Capitaine H. SIMON
62	1921	Recherches sur l'état des Confréries religieuses musulmanes	.A. COUR
64	1923	petits monuments funéraires Les Marabouts, et votifs du Nord de l'Afrique	CAUVET .(Commandant)
66	1925	Notes et questions sur Sidi Ahmed-ben-Yousef	BODIN (M.)
80	1937	Le maraboutisme ou la naissance d'une fa- mille ethnique dans la région de Tébessa	MURATI (P.)
83	1939	La guerre sainte des Se- noussya dans l'Afrique (française 1915-1918)	MEYNIER (O.) et LEHURAUX
95	1951	Essai sur la Hadhra des Aïssaoua d'Algérie	DERMENGHEM et L. BARRÈS,
97	1953	Les confréries noires en Algérie Diwans de Sidi Blal	DERMENGHEM

لا يمكننا أن ننكر فضل هذه الأعمال التي أداها المستشرقون من خلال الترجمة والتحقيق ودراسة الآثار، إذ أنها استطاعت أن تحفظ لنا الكثير من التراث الثقافي والأثري الذي تمتعت به الجزائر على مر العصور، رغم أن الكثير منه ضاع لأسباب طبيعية وأخرى بشرية، وما كنا لنتعرف عليها لولا أعمال المستشرقين.

3 - **طبيعة الكتابة الاستشراقية الفرنسية حول التصوف عند شارل بروسلار:**

3-1نبذة عن شارل بروسلار:ولد شارل بروسلار واسمه الكامل" شارل هنري ايمانويل بروسلار" يوم 20 جويلية 1816م بفرنسا بمنطقة " neuilly-sur seine"[1]،في العاصمة الفرنسية باريس،

1- من مواليد مدينة تلمسان، كان أستاذا بمسجد الشيخ السنوسي بنفس المدينة ولديه العديد من المؤلفات، توفي سنة 1935. للاستزادة ينظر:
Jean Déjeux, Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française , karthala Editions, paris, 1984

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

درس اللغة العربية واللهجة القبائلية بـ"كوليج دو فرانس" ونظرا لحاجة فرنسا للمترجمين العسكريين أُلحق بالحكومة العامة في الجزائر ابتداء من سنة 1840م ليتولى مدير المكتب العربي بتلمسان يوم 27 سبتمبر 1853م، وخلالها اشرف على الكرسي العربي في إطار مدرسة تلمسان التي انشأها الفرنسيون سنة 1850م.

وفي سنة 1858م عيّن نائب محافظ في تلمسان في الفترة الممتدة من 16 اكتوبر إلى 22 نوفمبر 1858م، كما شغل منصب الكاتب العام لمدينة الجزائر لفترة قصيرة تمتد من 04 الى 24 اكتوبر سنة 1861م، وبعدها عين محافظا على وهران في 05 سبتمبر 1864م وبقي في هذا المنصب الى غاية 05 سبتمبر 1870م، لكن ظروفه الصحية جعلته يطلب إعفاءه من مختلف المهام الإدارية طيلة الفترة الممتدة من 24 سبتمبر 1870م الى غاية 02 مارس 1872م.

وفي 20 جوان 1873م عين مديرا لمصالح الجزائر على مستوى وزارة الداخلية الفرنسية الى غاية 31 ديسمبر من نفس السنة، وتوفي في باريس يوم 29 مارس 1889م عن عمر يناهز 73 سنة.

وعند تأسيس وزارة الحربية الفرنسية للجنة العلمية سنة 1837م، والتي كانت مهمتها اكتشاف الجزائر، ومعرفة أحوال اهلها الماضين، اختص بروسلار بالخط العربي[2]، وأنجز عدّة مؤلفات أهمها ما يلي:

القاموس الفرنسي الأمازيغي لهجة، كتابة وتحدثا من طرف قبائل مقاطعة الجزائر سنة 1844

Dictionnaire français-berbère : (dialecte écrit et parlé par les Kabaïles de la division d'Alger), 1844.

الإخوان دستور الفرق الدينية الإسلامية في الجزائر، سنة 1859

Les "Khouan": de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie, 1859.

1- بلدية فرنسية في إقليم هوت دو سين "مرتفعات السين" في منطقة "ايل دي فرانس" على حدود مدينة باريس في الضفة اليمنى لنهر السين.

2- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء ...، ج1، ص 20.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان وأبو عبد الله آخر ملوك غرناطة الملتقطة من روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان1876.

Mémoire épigraphique et historique sur les tombeaux des émirs Beni-Zeiyan et de Boabdil, dernier roi de Grenade, découverts à Tlemcen 1876

تلمسان وتومبوكتو 1861. Tlemcen et Tombouctou, 1861.

membre en Société archéologique du département de Constantine 1860.

كما ساهم في نشر عدة مقالات في المجلة الإفريقية تناول خلالها عددا من المواضيع ذات العلاقة بالجوانب الأثرية لتلمسان يمكننا حصرها فيما يلي:

العدد	السنة	عنوان المقال
04	1860	Les inscriptions arabes de Tlemcen: mausolée du cheikh el ouali sidi Boumediene.[1]
05	1861	Les inscriptions arabes de Tlemcen :la coudée royale de Tlemcen- le quartier franc d'el kissaria.[2]
06	1862	Les inscriptions arabes de Tlemcen: tombeau de l'ouali sidi Abdallah ben Mansour.[3]

2-3 نظرة شارل بروسلار للتصوف الجزائري: يعد شارل بروسلار واحدا من المستشرقين الفرنسيين الذين أولوا عناية فائقة للتصوف الجزائري، وهذا من خلال كتابه الإخوان" دستور الفرق الدينية الإسلامية في الجزائر Les "Khouan": de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie," الذي صدر سنة 1859م، ويتكون من 44 صفحة، ويعد جزءا هامّا من التراث المكتوب حول الطرق الصوفية؛ الذي خلفته الإدارة الاستعمارية بالجزائر، وهو من بين الدراسات الدقيقة والمتخصصة التي شملت التصوف والاسلام السياسي بالجزائر، والذي مثلته الزوايا الدينية والطرق الصوفية ورجالاتها، إذ قدم لنا إحصائيات حول عددها ومريديها، وبعض طقوسها، وكثيرا ما تشابهت دراسته مع بعض

1-R.A,pp :01-17
2- Ibid, pp :14-30.
3-Ibid,pp :11-21.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الدراسات الأخرى في نفس الموضوع على سبيل المثال لا الحصر دراسة "لويس رين: مرابطون وإخوان دراسة عن الإسلام في الجزائر".

3-3 منهج شارل بروسلار في دراسة التصوف الجزائري: إنّ دراسة شارل بروسلار هذه تعاملت معها الإدارة الاستعمارية الفرنسية بجدّ وحزم، واتخذتها خارطة للطريق في وضع إستراتيجيتها اتجاه هذه المؤسسات للتغلغل داخل منظومتها وضمان خضوعها والتقليل من أدوارها المهمة، وإضعاف التأثيرات المحتملة منها على السكان.

نجده في مستهل هذه الدراسة يوجه تحذيرات وانذارات لسلطات بلاده وبان تحتاط من هذه الطرق الصوفية نظرا للتأثير الذي يمكن لقادتها أن يمارسوه على الوضع السياسي في البلاد. فعدد أتباعهم كبير، وقدّره شارل بروسلار بحوالي خمس السكان الأصليين[1]. ومن المحتمل أن ينمو أكثر، وبنسب مذهلة، في ظل الانضباط الصارم الذي يمكن أن يؤثر به قادة "الطوائف المتحمسين والطموحين". وممّا لا شك فيه أن نظرة "بروسلار" للطرق الصوفية كانت استعلائية حيث يذكر قائلا: "...السلوك الذي يتبعه باستمرار "الرهبان الجزائريون"، والجهود التي يبذلها أنصارهم دون هوادة تكفي لإثبات هذه القناعة..."[2].

ويعطي في هذا أمثلة كثيرة من المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر مباشرة بعد الاحتلال الفرنسي حيث يصف الأمير عبد القادر بالرجل العبقري لكن هذه العبقرية لم تكن كافية لوحدها ليخرج هذا الرجل في الوقت المناسب من بين الحشود لولا الشخصية الدينية التي كان يرتديها، وانتمائه إلى أكثر الطرق الصوفية شعبية، وتحيط به العظمة المرموقة بين عظماءه[3].

ويستشهد كذلك ببعض زعماء المقاومة الشعبية الذين قلّل من قيمتهم، واستغرب لأسمائهم على حدّ تعبيره "بوبغلة[4]" و"بومعزة[5]"، "ووصفهم بأنهم أناس لا يملكون "صفات

1- Charles brosselard, le khouan de la costitution des ordres religieux musulmans en algerie, imprimerie de A Bourget, alger, 1859, p :05

2- Ibid, p :05.

3- Ibid, pp :05-06

4- اسمه الحقيقي محمد الأمجد بن عبد المالك المعروف بالشريف بوبغلة رمز من رموز المقاومة الشعبية في منطقة جرجرة بجبال القبائل 1851-1854.

5- اسمه الحقيقي الشريف محمد بن عبد الله، رمز من رموز المقاومة الشعبية في منطقة الظهرة 1845-1847.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الرئيس" مقارنة بالأمير عبد القادر؛ التي تفرض نفسها على الجماهير لكن رغم ذلك خلقوا لأنفسهم حزبا قويا يكفي لتحدي أسلحة فرنسا، وهنا يتسائل "بروسلار": من أين أتت هذه القوة الفريدة التي رفعتهم فجأة إلى أبعد الحدود، وأبقتهم لبعض الوقت فوق الحشد على الرغم من قمعها دائمًا؟[1].

ومن هذا المنطلق دعا "بروسلار" أنه من مصلحة فرنسا الاهتمام بها، وذلك بكسب شيوخ الطرق الصوفية، ووضع قوانين خاصة بها ولأتباعها تسير وفقها لاحتوائها واستغلالها لصالحها بدل العمل على إزالتها، كما الّح على ضرورة التعمق في التقارير السرية للطرق الصوفية لمعرفة الروح والقواعد التي بموجبها تشكلت هذه الأخيرة، وفي أي بيئة من الأفكار تعيش وتتحرك وتتصرف، وما هو النظام الذي يضمن استمرارها وتطورها، وفي أي اتجاه تتجه جهودها وتطلعاتها وآمالهما، وما هو هدفها[2].

إن الطقوس الاحتفالية والممارسات المختلفة للطرق الصوفية درست من طرف العديد من الفرنسيين أمثال بربروجر Berbrugger في عدة دوريات، والعقيد دو نوفو le Colonel de Neveu في عمل خاص، وبلمار bellemare، ولكن فيما يتعلق بالتكوين والقوانين العضوية فقد تم إهمال دراستها حتى يومنا هذا؛ وهذه هي النقطة الدقيقة التي حاول شارل بروسلار معالجتها، دون أن يخفي صعوبات مثل هذه المهمة حيث صرح قائلا: "...نحن لا ندعي أن نقول كل شيء هنا، إنها ببساطة خطوة أولى في طريق جديد، لا يزال ممهدًا بشكل سيئ، ولكن في غياب ميزة أخرى على الأقلّ استقاء معلوماتنا من المصادر الأصلية ككتب الطقوس الخاصة بـ"الاخوان"..."[3].

أما عن بدايات انتشار الطرق الصوفية واصولها في الجزائر حسب "شارل بروسلار" فإنها تواجدت نتيجة تواصل بين المشرق والمغرب، والباحث في كرونولوجيا ذلك التواصل يجد لها معالم تاريخية متعددة في القطر الجزائري، ويرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادي حيث

1- Charles brosselard, op.cit, p :06.

2- Ibid, p :06.

3- Ibid, p :07.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

اعتبر الجزائريون المرابط "سيدي عبد القادر" شخصية خرافية ومقدسة وظلت شفيعة للفقراء والمنكوبين.

أما عن التأثير المغربي في الطرق الصوفية بالجزائر فقد جسدته عدة زوايا أهمها زاوية مولاي الطيب الكائن مقرها بوزّان وهي بلدة تقع بين العرائش وفاس، وكان أتباعها كثيرون في الجهة الغربية من الجزائر، إضافة إلى الزاوية العيساوية نسبة الى مؤسسها سيدي محمد بن عيسى المرابط الذي كان مستقرا في مكناس المغربية[1]،ويضاف الى ذلك الطريقة الدرقاوية التي أخذت إسمها من منطقة "الدرقة"، وهي بلدة صغيرة بالمغرب في منطقة فاس، ويوجد أتباعها بشكل كبير في غرب الجزائر.

ولم ينفي "شارل بروسلار" عن وجود زوايا وطرق صوفية محلية المنشأ مثل زاوية سيدي أمحمد بن عبد الرحمن التي رغم حداثتها إلا أن لها اتباع كثيرون، وتعتبر في كل الجزء الشرقي من الجزائر نظامًا وطنيًا، وتجمع عددًا كبيرًا جدًا من الثوار في منطقة "قشتولة" على الجهة الخلفية الشمالية لجبال جرجرة خاصة بين أوساط قبيلة "بني اسماعيل"، إضافة إلى زاوية سيدي أحمد التيجاني التي تأسست في "عين ماضي" بالأغواط من قبل المرابطين الذين تحمل اسمها، وهي منتشرة بشكل كبير في الصحراء، ولها أتباع كثيرون لدى قبائل "الشاوية" بمنطقة قسنطينة[2]، وزاوية "سيدي يوسف الحمصالي"، وهي محدودة للغاية، ولم يتجاوز نفوذها منطقة قسنطينة.

كان للزوايا والطرق الصوفية نظام عام تحت إشراف الرئيس الذي يأخذ عادة اسم الخليفة، ويتم اختياره من بين أحفاد المعلم المؤسس، ويقيم في نفس المكان الذي نشأت فيه الزاوية أو الطريقة، ويمتلك الخليفة تحت سلطته عددًا غير محدود من الشيوخ، يُطلق عليهم أيضًا "المقدم"، وكل منهم مسؤول على إدارة دائرة دينية متفاوتة الأهمية.

يعتبر الشيخ أو "المقدم" الممثل المباشر للخليفة صاحب السيادة، ويمارس صلاحياته إلى أقصى حد من قوته الروحية بموجب صفة نظامية، وله ختم خاص، وهو علامة على السلطة

1- Ibid, pp :07-08.

2-Charles brosselard, op.cit, p :08.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

المفوضة إليه، يتراسل وحده مع الخليفة إمّا لإبلاغه بالأخبار أو إبلاغه بأوضاع المجتمع أو لطلب النصح والتوجيهات؛ ومهمته تكميله في جميع الأحوال.

ويعمل تحت أعين الشيخ وتحت قيادته القوية عدد معين من الوكلاء الثانويين سموا بأسماء مختلفة مثل "الرسل" و"حاملي الرايات"، و"الشواش" الذين يؤدون جميع الوظائف التابعة للمجتمع؛ وأهم هؤلاء العملاء هو بلا شك الرسول الذي يعتبر الناقل الدبلوماسي الذي تتم من خلاله جميع الاتصالات بين مختلف الطرق الصوفية (الاخويات)، وكذلك يكون دائمًا هو حامل التعليمات الشفهية التي تلك التي يمكن تبادلها بين الشيخ والخليفة بصرف النظر عن الرسائل المكتوبة الموكلة إليه، والتي تحتوي عمومًا على أخبار ذات أهمية عامة فقط[1].

يأخذ أعضاء الفرق الدينية فيما بينهم اسم الاخوان (الإخوة)، ومرة أخرى اسم الفقير (الفقراء) حيث أنهم أرادوا أن يشيروا بذلك إلى أنهم فقط الخدم المتواضعون لرئيسهم الأعلى، ومن مبادئهم الانفصال تمامًا عن العالم، والتخلي عن ملذاته ومتعه، والعيش الحياة البسيطة والمتواضعة التي أوصى بها مؤسس الحركة الإسلامية الذي قال عن نفسه: "الفقر هو مجدي"، ويتعرف الإخوان على بعضهم البعض من خلال علامات معينة، وبكلمات مأخوذة من طقوسهم، وكذلك من خلال شكل وتكوين حبات المسابح (مفرد سبحة) الخاصة بهم، علاوة على ذلك يحتوي كل أمر لراية مؤلفة بشكل موحد من الألوان الثلاثة: الأخضر والأصفر والأحمر كعلامة على حشد رسمي.

ومن الطقوس التي تمارس عند انضمام شخص جديد لهذه الفرق الدينية تتمثل في الاستعداد للتجريد من الشعور بالنعمة، وأداء الصلاة والصوم والصدقة، ثم يسجد الشخص أمام الشيخ، وبعد أن يقبل يديه، يقول له: "... يا أبي، تراني تائبًا عن خطاياي؛ سامحني الله؛ آتي إليكم بكل تواضع حتى تمنحوني وبمساعدة العلي سيدنا "كذا..."، أيها الأب أطلب منك أن تدرسني في علم الحقيقة لتظهر لي الطريق الذي يؤدي إلى الخلاص من خلال تتبع قواعد نظامك الموقر...، أعدك بالخضوع لها والتركيز عليها، والبقاء مخلصًا لها...، أقسم أن أخدمك

1- Ibid, pp :09-10.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

حتى الموت...، وأولئك الذين سيصبحون إخوتي...، أقسم بالطاعة والإخلاص لسيدنا الخليفة وللشيخ نائبه ؛ أن يحفظهم الله نعمة ويعطيهم بركته..."وفي هذه اللحظة يهتف الحاضرون: "... هو لنا! هو لنا! فليصبح أحد إخوتنا، ثم يقترب الشيخ من الطالب، ويأخذ يديه ويضغط عليهما بقوة في يده. بعد ذلك يميل إلى أذنه لينزلق إليها بعض الكلمات الغامضة من الشيخ، والتي تحت تأثيرها تظهر شخصية المبتدئ في الحياة، وتتخذ تعبيراً عن النعيم السماوي. ويبدو في هذه اللحظة أن عقل المنتسب الجديد يكتشف آفاقًا جديدة؛ هذا الوحي الحميم حسب "بروسلار" كتب "الاخوان" مكننا من اختراق سره. لقد بدأ للتو الأخ الجديد في مهنة الإيمان الإسلامي: لا إله إلا الله، ثم عهد إليه بالأسماء السبعة، أو الصفات السبع الرئيسية للألوهية[1].

ويعلم الشيخ واجبات "الاخ الجديد"، ثم يلتفت إلى المصلين فيقول: "عسى أن يرضي أخينا، وتزداد سعادته ومجده في عيشه المتواضع هذا...، وتسعد خدماته الخالدة ومؤسسنا الحبيب! ليستجيب التجمع: فليكن، فليكن! تحيي الوافد الجديد بألف تمنيات بالسعادة وترتفع له صلاة الشكر، المليئة بالزخم والإيمان، التي يقدس بها المسلمون جميع أعماله المهمة في الحياة..."، وهكذا تنتهي مراسم التنشئة.

امّا المرأة الصالحة مثلها مثل الرجل بإمكانها الانضمام إلى ايّ جماعة دينية باستثناء عيساوة الذين يمشون حفاة القدمين على الجمرات الساخنة، ويديرون ألسنتهم بالحديد الساخن، ويبتلعون قطع من الزجاج المكسر تحت الأسنان؛ وهذا ما تعجز المرأة عن القيام به، فيتم تلقيها واستقبالها ومباشرتها من قبل نساء أخريات بلقب الرؤساء (المقدمات) الذين يحملون هم أنفسهم صلاحياتهم الخليفة، ويتم استثمارها، وكان عدد المنتسبين من الجنس الأنثوي كبيرا لا سيما في زاوية مولاي سيدي الطيب وسيدي امحمد بن عبد الرحمن.

لقد حاول "شارل بروسلار" معرفة أسرار هذه الفرق الدينية، وتقدير أهميتها من خلال اختراقها، والجلوس في مواقدهم وفي اجتماعاتهم، وشرح القوة التي لا جدال فيها "للاضطراب" الديني، وفي إدراك التأثير الهائل الذي يمارسونه على الجماهير، وقد اعتمد في ذلك على بعض المراجع المهمة مثل " Les Présents dominicaux ou développement de la Règle des

1- Charles brosselard, op.cit, pp :10-11.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

Rahmaniens" الذي يحتوي على تاريخ التنظيم الذي أسسه سيدي أمحمد بن عبد الرحمن وحياة المؤسس والدستور والنظام الأساسي للزاوية، بالإضافة إلى شرح لاحتفالاتها وممارساتها السرية، وفي هذا الصدد يصرح "بروسلار" مندهشا: "...إنه تعليم كامل، مليء بالتفاصيل المثيرة للفضول...، وبشكل خاص الفصل الذي يتحدث عن الالتزامات المفروضة على "الإخوان" اتجاه الرئيس أو الشيخ المفوض عنه..."[1].

لقد ربطت الطرق الصوفية بين الذكر والمذاكرة، إذ تذكر المبتدئين دائما بقواعدها والتربية والسلوك، فيوم تقديم المبتدئ نفسه للجمع المعتمد بين "الاخوة"؛ فلا بد من موافاته بعدة توصيات، والتي يقسم على كتمانها والامتثال لأدق الإخلاص حيث سيقولون له: "... ليكن موقفك في حضرة الشيخ هو موقف العبد المملوك أمام ملكه... الشيخ رجل الله الحبيب، وهو أعلى من سائر المخلوقات، ويترتب بعد الأنبياء. "انظر" فقط هو في كل مكان... ابعد عن قلبك أي فكر آخر عالق يكون غرضه الله أو الشيخ...".

ويجب على المبتدئ التقيد بما يلي:

الطاعة العمياء للشيخ: من خلال الحرص على تقديم نفسه أمام الشيخ في أفضل حالة من النقاء الجسدي والمعنوي.

- احترام أولاده وأصدقائه "وسوف تكرم من أفعاله في حياته وبعد وفاته"، وبما أن الشخص المريض لا يخفى على الطبيب جسده، فلا بد أن لا تسرق من الشيخ أيًا من أفكاره، أو أي من أقواله أو أفعاله. اعتبر أن الشيخ هو طبيب روحك. "احتفظ جيدًا بالأسرار التي يثق بها لك. ليكن قلبك في هذا الصدد صامتًا كقبر. "ستقف تحت نظره، رأسك منخفضًا وفي أعمق صمت، مستعد دائمًا لطاعته... لطاعة إشارة من يده، كلمة من فمه. تذكر أنك خادمه، ولا تفعل شيئًا بدون أمره...".

- إنّ الطاعة المطلقة هي الأولى والأكثر أهمية من بين جميع القواعد التي يجب على المبتدئ احترافها؛ فليتخيل المبتدئ اذاً أن الشيخ هو أكمل رجل في بلده وفي قرنه، وأنه يحيط به بأكبر قدر من الاحترام في كل الظروف وفي كل مكان، ولن يهتم بما يفعله أو بما يقوله، ويحرص على

1 Ibid, pp :12-13.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

عدم الاستفسار عن الطريقة التي يتصرف بها الشيخ، سواء في حياته الخاصة أو في ممارسة الشعائر الدينية، كما أنه لا يسأل عن مقدار الطعام الذي يأخذه، وكم من الوقت يقضيه في النوم، وكم مرة يصلي، أو كم يتوضأ ليلًا أو نهارًا. وإثم أن يتزوج امرأة كان الشيخ قد طلقها. ولن يسمح له بالزواج دون موافقته، إذا كان من المناسب في الممارسة العادية للحياة إخفاء أفعال المرء وأفكاره عن الاشخاص الآخرين، فلا ينبغي أن يكون هناك نفس الاحتياط فيما يتعلق بالشيخ الذي هو عادل له، على العكس من ذلك أي أن يعترف بكل شيء؛ هذه القاعدة الأخيرة هي واحدة من أهم القواعد التي يجب مراعاتها.

- تحمل الطرد للمبتدئ من الزاوية أو الطريقة الصوفية لعصيان أوامر الشيخ أو عند ارتكابه لمخالفات كالتخلف عن حضور صلاة الجمعة دون سبب مشروع أو الجلوس في المكان المخصص للشيخ، أو لضحكه في حضوره[1].

قبول السلطة الاستبدادية للشيخ على جميع رعاياه: هذه السلطة مفوضة للشيخ أو المقدم ويمارسها بطريقة متساوية وواسعة النطاق على "الإخوان"، مع مراعاة سلطته الروحية، لذلك يجوز التأكيد على أنه في هذا المبدأ المزدوج للسلطة بين الزهد الشخصي وإنكار الذات من ناحية، والطاعة السلبية للآخر من ناحية أخرى هي الدافع الرئيسي للقوة الخارقة للفرق الإسلامية. حيث تم العثور على القواعد المحددة التي يجب على أعضاء النظام الالتزام بها في علاقات "الأخوة" المتبادلة بينهم. قال الشيخ مخاطبًا مبتدئًا جديدًا: "...يا بني، ستخدم إخوانك بإخلاص. خدمتنا لك مثل لتر من النبلاء... سوف تغمض عينيك عن عيوبهم، وتخفي عيوبهم إذا كنت تعرفهم. ومن يكشف عن معاصي إخوته يفك الحجاب الذي يستر ذنوبه... أحب أولئك الذين يحبونهم... أغلق أذنيك عن الأشياء السيئة التي قد يتم إخبارك بها عنها... ساعدهم في المرض... تعالوا لمساعدتهم في الشدائد... احذروا في علاقتكم مع إخوانكم من النفاق والباطل والكبرياء... أزل قلبك من الحسد فانّ الحسد يستهلك الأعمال الصالحة؛ فالنار تلتهم الحطب... عندما تتحدث عن "إخوتك "كرس نفسك للتباهي بمزاياهم ، وأظهر أنك فخور بهم... فكّر معهم بعقل واحد واعمل معهم بقلب واحد... تقدم معهم في نفس الخطوة في

1 Charles brosselard,op.cit,pp :13-14.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

طريق خلاص النفوس... عندما تتحدث عن المجتمع الذي تلتزم به بقسمك، تذكر أنه أصبح جديرًا برفعه فوق كل الآخرين..."[1].

ومن أهم تعاليم وشعارات وتعاليم الزوايا والطرق الصوفية: "...إنّ "الفقير" ينذر بالتواضع لذلك وجب عليه قطع علاقاته القديمة؛ كما لا يحلّ له لبس الثياب المترفة كالذهب والحرير بل لباس المرقعة، وسيحول عينيه عن الأشكال الجميلة والوجوه الجميلة لأن هذا المنظر أشبه بالسم المحترق، ...سيغلق قلبه عن الشهوة... سيشبع بزوجة واحدة ولن يتبرأ منها، بل سيكون من الأفضل له من أجل خلاصه أن يظل عازبًا طوال حياته. إنها سعادة حقيقية أن يغلق قلب المرء على العواطف البشرية.

إن التخلي عن ملذات الدنيا وإغراءاتها هو الأثر السعيد لهذه القوة الظافرة التي تمنحها نعمة سيدنا الرسول عليه السلام، هناك عدد قليل من "الإخوة" الذين يظهرون أنفسهم متحمسين للامتثال لهذه القواعد الرهبانية، هل يوجد في الواقع العديد من الرجال مهما كان مفترضًا تقديمهم، قادرين على جعل أنفسهم غير مدركين لنوبات النوم والبقاء خلال ساعات الليل الطويلة، مستغرقين في التأمل والصلاة، لكن على أي حال هؤلاء المتميزين من النعمة يمرون في أعين جميع المسلمين لقديسين، ومختارين حقيقيين من الله، ومن النماذج التي تحظى بقدر أكبر من الإعجاب حيث يشعر كل من المريدين بعجزهم عن تقليدها[2].

ويمنح التكريم لمثل هؤلاء المتميزين اسم "المرابطين"، والذي يدل على الارتباط بالدين من خلال وعودهم التي تستبعد كل الفكر، والمرابط هو أخ ولكنه أخ متميز مستنير بشعاع من الضوء ندين بالطاعة والاحترام له.

إن ممارسة الصيام التي ترهق الجسد مثل السهر المطول محسوبة بشكل متساوٍ لإنتاج تحفيز كبير للقوى الدماغية، وفي هذا يظهر "الاخوان" أنهم مخلصون للتقليد الذي قاله محمد لتلاميذه الأوائل: "العفة مثل باب الجنة... والرائحة التي تخرج من فم الصائم مرضية عند الله أكثر من رائحة المسك والعنبر..."[3].

2Charles brosselard,op.cit,pp :15-16-17.

1Ibid,p :18 .

2- قال الله عزوجل:" كل عمل ابن آدم له هو لي وأنا اجزي به، فوالذي نفس محمد بيده لخلفة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك". صحيح مسلم، ص 1151.(حديث قدسي).

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ليس من المستغرب أنه ليس كل "الإخوة "يستطيعون الرضوخ لعادات الإماتة الصارمة؛ وأنه يمكن التوفيق بينها وبين تواتر الحياة واستخدام ملذاتها وممارسة الصلاة المستمرة، في القاعدة التي تجعل من الواجب الاحتفال المشترك بالطقوس والاحتفالات التي أقامها المؤسس.

كما ينصح "المقدم" بشكل عام المبتدئين باستخدام الحشيش (القنب الهندي) مع العصائر المخدرة والمسكرة، والتي تعرف باسم "عشب الفقير" فلا يوجد منبه أكثر نشاطًا أو أكثر ملائمة منها لإعلاء الخيال ولإعطاء الشجاعة لمن هم أقل ميلًا للقتال.

وفي آخر هذه الدراسة عاد "شارل بروسلار" مرة أخرى إلى التنبيه لوجود العلاقة المتينة بين زوايا وطرق التصوف في المشرق والمغارب، ووصفها بأنها تيار مستمر يتغذى دون انقطاع لمدة اثني عشر قرنًا من خلال التفاني في أداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة التي تجلب إليها سنويًا جماهير كبيرة من الحجاج لزيارة قبر مؤسس الإسلام، كما تحدث أيضا عن المجهودات الإصلاحية المبذولة من طرف الأوروبيين لضم بلاد المشرق في مسيرتهم الحضارية للاستفادة منها، ويذكر أن هذه الإصلاحات فشلت بسبب رفض ومعارضة هذه المؤسسات الدينية التي رأت فيها خطرا في حين نجحت في توحيد الشعوب الإسلامية.

إن زعماء "الإخوان" هم المروجون للعصيان الذي يؤدي إلى شل جهودنا لذلك من الجائز الاعتقاد بأنه سيكون عملًا ذا سياسة عالية، وبعد نظر إداري حكيم للهجوم المباشر وجهاً لوجه على هذه "المذاهب التخريبية"، للحد من تأثير هذه الزوايا والطرق الصوفية المعادية لفرنسا دائمًا في وقت أصبحت فيه المسكنات العاجزة.

وقد أنهى "شارل بروسلار" دراسته بطرح مجموعة من التساؤلات: التسامح مذنبة هل نتنازل مع "العدو"؟ إنها بالفعل مسألة حياة أو موت للأجيال الشابة المسلمة التي مصيرها في أيدينا... لإبعادهم من الآن فصاعدًا عن هذا التأثير المعادي الذي يهدد بتدمير كل تطلعاتهم لذلك وجب طمأنتهم في المستقبل إلى مكان يستحقون احتلاله في قلب الحضارة، وبذلك حاول تبرير أن قدوم فرنسا الى الجزائر خاصة كان لمهمة حضارية لا غير، وهنا نشكك في نواياه الحقيقية من دراسته هذه على حساب تشويهه للتاريخ وتزييفه للحقائق.

خاتمة: إن الكتابات الإستشراقية الفرنسية حول التصوف بالجزائر لم تخرج عن أوامر الجيش الفرنسي الأمر الذي صبغ معظمها بالغايات التي رسمتها الإدارة الإستعمارية، وهو ما جعلها في معظم الأحيان تفتقر للدقة والموضوعية، وتغلب عليها النظرة الإستعلائية، والإيديولوجية العدائية.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد13- العدد2 (نوفمبر) 1444- 1445هـ/2023م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-013-002
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يشبه "شارل بروسلار" شيوخ الزوايا والطرق الصوفية بالبابوات الذين كانوا يسيطرون على مختلف نواحي الحياة الأوروبية خلال العصور الوسطى.

اهتمام "شارل بروسلار" بدراسة وإحصاء هذه الطرق الصوفية بالجزائر لا نجد له تفسيرا سوى أنها كانت حاجزا أمام طموحات فرنسا التوسعية داخل الجزائر.

توجيه "شارل بروسلار" لتنبيهات لبلاده بان تحتاط من هذه الطرق الصوفية نظرا للتأثير الذي يمكن لقادتها أن يمارسوه على الوضع السياسي، ووصفهم بالمروجين للعصيان والمخربين، ونصح بلاده بأن تضع حدّا لتأثيرها.

توصل "شارل بروسلار" إلى أنّ قوة الطرق الصوفية مستمدة من الانضباط والامتثال لأوامر شيوخها، وابتعاد مريديها عن جميع ملذات الحياة.

قائمة المصادروالمراجع:

المراجع: أ- اللغة العربية:

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954،ج06، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998،ص 09.

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984.

2- المقالات:

بوتدارة سالم، الفكر الصوفي الجزائري من منظور الكتابات الاستشراقية الفرنسية، مجله الواحات للبحوث والدراسات، المجلد14، العدد 3، 2021، ص 369.

بوشنافي محمد، الدراسات الأثرية والمعمارية لتلمسان خلال العهد الاستعماري شارل بروسلار نموذجا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد02، العدد 4، 2016.

3 -الاطروحات:

برقية عبد الحميد، الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962 دراسة تاريخية فكرية، اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر، جامعة قالمة، 2021-2022

ب- باللغة الاجنبية

Alfred Bel- La religion musulmane en Berbérie- Esquisse d'histoire et de sociologie religieuses, tome1-Geuthner, paris, 1938.

Charles brosselard, le khouan de la constitution des ordres religieux musulmans en algerie, imprimerie de A Bourget, alger, 1859.

Edmond DOUTTE, Magie et religion dans l'Afrique du Nord, typographie adolphe jourdan, alger,1909

Jean Déjeux, Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française, karthala Editions, paris, 1984

RINN Louis, Marabout et Khouans, Etudes sur l'islam en Algérie, Joran, Alger. 1884